تعظيم الأشهر الحرم ذو القعدة

الحمد لله كما ينبغي أن يحمد الهادي إلى سواء السبيل، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين. وأصلي وأسلم على النبي أحمد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أيها المسلمون، أيتها المسلمات: خيرُ ما تحلّى به المؤمن من سجايا وأجمل ما اتصف به من صفات حِسٌّ مرهَف وشعور يقِظ وقلبٌ حيّ وعقلٌ واعٍ يبعث على استشعار حرمة ما حرّم الله وتعظيم ما عظّمه، فيقيم البرهانَ الواضح على إيمان صادق ويقين راسخ وتسليمٍ ثابت. وهذا الموضوع المنسي هو (تعظيم الأشهر الحرم): إن الأيام لتمر بنا وتمر معها تلك الأشهر، وقد لا يشعر الكثير منا بتعظيم الأشهر الحرم وبمكانتها وعظمتها عند الله، ومضاعفة الأوزار فيها، لقوله -تعالى-: ((فلا تظلموا فيهن أنفسكم)).

فضل الله تعالى بعض الشهور والأيام والليالي على بعض فعدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاثة متوالية وشهر رجب الفرد بين جمادى وشعبان. قال فيها سبحانه: ﴿إِنَّ عِدَّةَ

الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ الآية [التوبة:36].

فالمحرم سمى المحرم لأن العرب كان يحرمون القتال فيه، وصفر سمي صفراً لأن العرب كان يغزون فيه القبائل فيتركون من لقوا صفر المتاع، وشهر ربيع الأول لأن العرب كانوا يرتبعون فيه أي لرعيهم فيه العشب فسمى ربيعاً، وجمادى لجمود الماء فيه، ورجب سمي رجباً لترجيبهم الرماح من الأسنة لأنها تنزع منها فلا يقاتلوا، وشعبان لأنه شعب بين رمضان ورجب، ورمضان لرموض الحر وشدة وقع الشمس فيه، وشوال لشولان النوق فيه بأذنابها إذا حملت، وذو القعدة سمي ذا القعدة لقعودهم في رحالهم عن الغزو لا يطلبون كلأً ولا ميرة، وذو الحجة سمي ذا الحجة.

إنّ مما حرّم الله تعالى الأشهر الحرم وهي الأشهر التي بينها رسول الله ﷺ في الحديث الذي أخرجه الشيخان في صحيحيهما عن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ خطب في حجّة الوداع فقال في خطبته: ((إنَّ الزمانَ قد استدارَ كهَيئتِه يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعةٌ حُرُم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مُضر الذي بين جمادى وشعبان)).

فجاء هذا البيان النبوي تقريرًا منه صلوات الله وسلامه عليه وتثبيتًا للأمر على ما جعله الله من غير تقديم ولا تأخير ولا زيادة ولا نقصان، أي: أنّ الأمر اليوم شرعًا في عدّة الشهور وتحريم ما هو محرّم منها هو كما ابتدأه الله قدرًا في كتابه يومَ خلق السماوات والأرض؛ وذلك لإبطال ما كان أهل الجاهلية يفعلونه مما أحدثوه قبل الإسلام من تحليل المحرّم وتأخيره إلى صفر، فيحلّون الشهر الحرام، ويحرّمون الشهر الحلال، وهو النسيء الذي أخبر سبحانه عنه بقوله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة:37]. وهي صورة من صور التحريف والتبديل والتلاعب عُرفت بها الجاهليّة، ولونٌ من ألوان ضلالاتها وكفرها وتكذيبها بآيات الله عز وجل ورسله.

ألا وإنّ من أظهر الدلائل على استشعار حرمة هذه الأشهر الحرم الحذرَ من ظلم النفس فيها باجتِراح السيّئات ومقارَفَة الآثام والتلوّث بالخطايا في أيّ لون من ألوانها امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾، فالذنب في كلّ زمان سوءٌ وشؤم وظلم للنفس؛ لأنّه اجتراء على العظيم المنتقمِ الجبّار والمحسن بالنعم السابغة والآلاء الجميلةِ، لكنّه في

الشهر الحرام أشدّ سوءا وأعظم شؤمًا وأفدح ظلمًا؛ لأنّه يجمع بين الاجتراء والاستخفاف وبين امتهان حرمة ما حرّم الله وعظّمه واصطفاه؛ ولذا تُغلّظ فيه الدّيةُ عند كثير من العلماء.

وإذا كان احترام الشهر الحرام أمرًا ظاهرا متوارَثًا لدى أهل الجاهلية، يعبِّر عنه إمساكهم فيه عن سفك الدم الحرام والكفُّ عن الأخذ بالثأر فيه مع ما هم فيه من شرور وآثام، أفلا يكون جديرًا بالمسلم الذي رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً، أفلا يجدر به أن يحجز نفسه عن الولوغ في الذنوب وينأى بها عن أسباب الإثم والعدوان، وأن يترفّع عن دوافع الهوى ومزالق النزوات والشطحات وتسويل الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء، وأن يذكر أن الحياة أشواط ومراحل تفنى فيها الأعمار وتنتهي الآجال وتنقطع الأعمال، ولا يدري أحد متى يكون الفِراقُ لها وكم من الأشواط يقطع منها وإلى أيّ مرحلة يقف به المسيرُ في دروبها، فالسعيد من سمت نفسُه إلى طلب أرفع المراتب وأعلى الدرجات من رضوان الله باستدراك ما فات واغتنام ما بقي من الأوقات والتزام النهج السديد في هذا الشهر الحرام وفي كلّ شهور العام، وصدق سبحانه إذ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر:18].

وإنكم اليوم تستقبلون الأشهر الحرم الثلاثة فلا تظلموا فيهن أنفسكم التزموا حدود الله تعالى أقيموا فرائض الله واجتنبوا محارمه أدوا الحقوق فيما بينكم وبين ربكم وفيما بينكم وبين عباده واعلموا أن الشيطان قد قعد لابن آدم كل مرصد وأقسم لله ليأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا يجد أكثرهم شاكرين أقسم لله بعزة الله ليغوينهم أجمعين إلا عباد الله المخلصين. إن الشيطان لحريص كل الحرص على إغواء بني آدم وإضلالهم يصدهم عن دين الله يأمرهم بالفحشاء والمنكر يحبب إليهم المعاصي ويكره إليهم الطاعات يأتيهم من كل جانب ويقذفهم بسهامه من كل جبهة إن رأى من العبد رغبة في الخير ثبطه عنه وأقعده فإن عجز عنه من هذا الجانب جاءه من جانب الغلو والوسواس والشكوك وتعدي الحدود في الطاعة فأفسدها عليه فإن عجز عنه من جانب الطاعات جاءه من جانب المعاصي فينظر أقوى المعاصي هدما لدينه فأوقعه فيها فإن عجز عنه من هذا الجانب حاوله من جانب أسهل فأوقعه فيما دونها من المعاصي فإذا وقع في شرك المعاصي فقد نال الشيطان منه بغيته فإن يكسل في نفسه تارة ويفتح عليه الشيطان باب التسويف تارة يقول له: هذه هينة أفعلها هذه المرة وتب إلى الله تعالى فباب التوبة مفتوح وربك غفور رحيم فلا يزال به يعده ويمنيه وما

يعده إلا غرورا فإذا وقع في هذه المعصية التي كان يراها من قبل صعبة كبيرة وهانت عليه تدرج به الشيطان إلى ما هو أكبر منها وهكذا أبدا حتى يخرجه من دينه كله ولقد أشار النبي ﷺ إلى هذا التدرج فيما رواه الإمام أحمد عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وذا بعود حتى أنضجوا خبزهم وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه)).

فاحذروا مكايد الشيطان ومكره فإنه يتنوع في ذلك ويتلون فهذا يأتيه من قبل الإيمان والتوحيد فيوقعه في الشك أحيانا وفي الشرك أحيانا وهذا يأتيه من قبل الصلاة فيوقعه في التهاون بها والإخلال وهذا يأتيه من قبل الزكاة فيوقعه في البخل بها أو صرفها في غير مستحقها وهذا يأتيه من قبل الصيام فيوقعه فيما ينقضه من سيئ الأقوال والأفعال وهذا يأتيه من قبل الحج فيوقعه في التسويف به حتى يأتيه الموت وما حج وهذا يأتيه من قبل حقوق الوالدين والأقارب فيوقعه في العقوق والقطيعة وهذا يأتيه من قبل الأمانة فيوقعه في الغش والخيانة وهذا يأتيه من قبل المال فيوقعه في اكتسابه من غير مبالاة فيكتسبه عن طريق الحرام بالربا تارة وبالغرور والجهالة تارة وبأخذه الرشوة

أحيانا وبإهمال عمله تارة إلى غيره ذلك من أنواع المعاصي وأجناسها التي يغر بها الشيطان بني آدم ثم يتخلى عنهم أحوج ما يكونون إلى المساعد والمعين اسمعوا قول الله تعالى في غرور الشيطان لأبوينا آدم وحواء حين أسكنهما الله تعالى الجنة وأذن لهما أن يأكلا رغدا من حيث شاءا من أشجارها وثمارها سوى شجرة واحدة عينها لهما بالإشارة ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ ولكن الشيطان وسوس لهما وقال ﴿ ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين فدلاهما ﴾ أي أنزلهما من مرتبة الطاعة وعلو المنزلة ﴿ بغرور ﴾

أيها المؤمنون: إن الظلم الذي وردت النصوص في تحريمه وبيان سوءِ عاقبته والتحذير منه دواوين ثلاثة:

أولها: ديوان لا يغفره الله أبدًا، وهو الإشراك بالله تعالى، بصرف العبادة أو بعض أنواعها لغير الله، كدعاء غيره، والسجود لغيره، والذبح والنذر لغيره، ونبذ شرعه والتحاكم إلى سواه، قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) [النساء: 48]

وأما ثاني الدواوين: فذاك الظلم الذي لا يتركه الله تعالى، وهو ظلم العبد غيرَه من

الخلق، فهذا لا بد فيه من أخذ الحقّ للمظلوم من الظالم، كما قال الله سبحانه في الحديث الإلهي: "وعزّتي، لأنصرنّك ولو بعد حين".

فتداركوا الأمر يا عباد الله قبل فوات الأوان، فما هي والله إلا ساعة ثم تبعثر القبور، ويحصّل ما في الصدور، وعند الله تجتمع الخصوم، فيقتص من الظالم للمظلوم، فتحللوا -أيها الإخوان- من المظالم قبل أن لا يكون درهم ولا دينار، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله: "من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلّله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحُمِل عليه". رواه البخاري.

أما ثالث دواوين الظلم فهو ظلم العبد نفسَه بالمعاصي والسيئات، فكل ذنب وخطيئة تقارفها -يا عبد الله- فإن ذلك ظلم منك لنفسك وبغي عليها، قال الله تعالى: (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [البقرة: 229]. والناس في ذلك مستقل ومستكثر، فمن الناس من لا يردعه رادع ولا يزجره وازع، يخوض في غمار المعاصي والذنوب، فلا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه،

فأصبح جمعُ المال والتنافسُ عليه مستنقعًا آسنًا، عبّ منه كثير من العالمين، وارتوى منه كثير من الغافلين، فالربا قد انتشر وفشا، واستهان الناس بأخذ الرشا، مع ما ورد فيهما من الوعيد الشديد والنهي الأكيد، ضيّعت بسبب ذلك الأمانة وفشت الخيانة، وانتشر الكذب والتدليس، كل ذلك بسبب التنافس على حطام الدنيا الزائلة والاستكثار منها، مع أن نبينا المشفقَ على أمته قد حذرها من ذلك فقال: "فوالله، ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم". متفق عليه.

وإن من أعظم ما فشا بين الناس من المحرمات واستمرؤوها واعتادوا عليها وألفوها حتى أصبحوا لا ينكرون على أصحابها ولا يعاتبون أربابها حلقَ اللحى وإسبالَ الثياب وسماعَ الأغاني. فهذا المنكر الذي لا يكاد يسلم منه مكان ولا يخلو منه زمان، بل زاحم الناس حتى في أماكن العبادة وفي أشرف البقاع وأطهرها، فقد غزانا أعداء الإسلام بهذا السلاح الذي أفسد القلوب وأنبت فيها

النفاق، فغرسوه في ألعاب الأطفال حتى يتربى عليه الطفل من الصغر، فقبل أن يلقن الأطفال القرآن والشهادتين يكون قد سمع من الغناء والموسيقى ما جعله يألف ذلك ويتربى عليه، وأصبحت تسمع هذا الصوت المنكر في كلّ مكان حيثما توجهت في الأماكن العامة والخاصة، في الأسواق والبيوت والسيارات والمتنزهات، بل حتى في المساجد والصلوات، فألفه الناس واعتادوه، فأصبح صاحب هذا المنكر يصول ويجول بين الناس وكأنه لم يفعل شيئًا، في حين أنه ينبغي أن ينكر عليه ويناصح ويعاتب، فالمنكرات تزول بإنكارها، وتبقى وتنتشر بالسكوت عليها.

فأصبح حلق اللحية أمرًا مألوفًا لدى كثير من الناس، بل ربما أصبحت ترى من يتصدّر لتوجيه الناس وتعليمهم بل والفتيا والقضاء قد حلق لحيته كلّها أو كثيرًا منها وتشبه بأعداء الله، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "خالفوا اليهود؛ أعفوا اللحى".

وإسبال الثياب مع أنه من كبائر الذنوب أصبح أمرًا شائعًا ومنكرًا ذائعًا، ولا تكاد تجد من ينكره على من فعله مع أن فاروق هذه

الأمة وهو يكابد غصصَ الموت وسكراته لما دخل عليه شابّ قد أسبل ثيابه ناداه وأنكر عليه.

ظلم النفس حرام، ظلم عباد الله حرام، اجتناب الظلم أيًّا كان نوعه واجب في سائر العام، وهو في الأيام القادمة أشد وجوبًا

فاحذروا يا عباد الله من الظلم فإن الله تعالى جعله في هذه الأشهر أشد حرمة، واعلموا أن الله عز وجل كما حرم علينا الظلم فقد حرمه على نفسه عز وجل فهو سبحانه وتعالى تنزه وتقدس عن الظلم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْئًا ﴾]يونس:44]. ﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف:49]. بل إنه سبحانه وتعالى نفي عن نفسه إرادةَ الظلم ﴿وما الله يريد ظلماً للعالمين﴾ روى ذلك الإمام مسلم في صحيحه والترمذي وابن ماجه عن عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلاَنِيِّ عَنْ أَبِي ذَرٍ عَنْ النَّبِيِّ فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: ((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي. وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً. فَلاَ تَظَالَمُوا. يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ. فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ. فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ. فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً. فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرُ لَكُمْ. يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي. وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي

فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ. كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ. مَا زَادَ ذلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً. يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ. وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ. كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ. مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً. يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ. وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ. قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي. فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ. مَا نَقَصَ ذلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ. ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا. فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللهَ. وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ)). وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ ٱلإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِى إِلاَّ بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿ [هود:88]. فعظموا -أيها المسلمون- ما عظّم الله، واتقوا ربكم واستشعروا حرمة هذا الشهر من الأشهر الحرم، واحذروا من ظلم أنفسكم فيه وفي سائر الشهور، وأقبلوا على موائد الطاعة بما صح وتبث لديكم عن الله والرسول، وأعرضوا عن كل ما ابتدعه الناس في الدين، واعبدوا الله كما أراد وأمر لا كما تريدون.
وصلي الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كيف نستشعر مناسك الحج والعمرة ؟
د. سلوى البهكلي 1430/11/25 ه

قال تعالى:" الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب "

فرض الله سبحانه وتعالى الحج على كل مسلم بالغ، عاقل، قادر، ليكون في معية الله سبحانه وتعالى قلبا وقالبا، وليتعرض لبركة وكرامة ذلك المكان وذلك الزمان ولو لمرة واحدة في العمر، وليتمكن من اداء هذه الفريضة وهو يعيش معانيها، ويعي ما يفعل ويستشعر الحكمة من كل نسك يوديه ليكسب خيري الدنيا والاخرة.

الحج المبرور هو الجسر الذي يوصل من عبره بحق الى جنات النعيم تصديقا لقوله صلى الله عليه وسلم " الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة"

واذا ما تفكرنا قليلا لوجدنا ان الحج هو الركن الوحيد الذي يتضمن جميع العبادات والاركان الاخرى، ففيه التوحيد لله والاقرار بالعبودية له وحده، وفيه الصلاة، والصيام، والزكاة، وفيه الصدقة والذكر والدعاء وحسن الخلق والتسامح وغير ذلك من العبادات .

ولقد خص الله الحج دون غيره من اركان الاسلام بسورة كاملة في كتابه الكريم سماها به وهي "سورة الحج."

وهي من اعاجيب السور، فهي مكية مدنية، اياتها نزلت في كل زمان ومكان، فمنها ما نزل في مكة ومنها ما نزل في المدينة، ومنها ما نزل ليلا ومنها ما نزل نهارا، وايات نزلت في الحضر واخرى في السفر.

وقد جمعت هذه السورة وتحدثت عن مواضيع كثيرة من اهمها يوم القيامة والبعث والنشور والجهاد والعبودية لله.

وهنا ياتي سوال!!

لماذا سميت هذه السورة بالحج ومع ذلك لم يتناول الله فيها الحج بالتفصيل بل تكلم عن يوم القيامة والبعث والنشور والجهاد !!

وما علاقة كل هذه الامور ببعضها وبالحج؟ عندما نفكر جيدا سنصل الى استنتاج هام، وهو ان الحج هو العبادة الجامعة الشاملة لجميع العبادات، وهي العبادة التي تذكرنا بالدنيا والاخرة وتنقلنا بارواحنا الى يوم الحساب ، لندرك كيف سيكون مصيرنا، وهي التي تعيد برمجة انفسنا لتعود بها الى

الفطرة السوية وهي التي تذكرنا باخوتنا ووحدتنا وغير ذلك من المعاني التي لا يعرفها الا من حج واستشعر كل معاني الحج الحقيقية

ورغم ان رحلة الحج او العمرة فيها الكثير من المشقة والصعوبات، الا ان الحاج يشعر براحة نفسية عجيبة اذا اداها بالشكل الصحيح واستشعر مناسكها فما هو السر في ذلك!!

ولكي توتي هذه الشعيرة ثمارها واهدافها المرجوة, يجب ان نستعد لها ونهيئ انفسنا لادائها, وذلك بتعلم مناسكها واركانها واحكامها, واسرارها وفوائدها، ونتفكر فيها لمعرفة المغزى والسر في ما وراء كل نسك.

ولكي نعقل ونستشعر هذه العبادة علينا ان نتسلح بحضور الذهن والقلب معا، ونتذكر ان اجر العبادات يزيد وينقص، بقدر ما نعقل ونعي من العبادة التي نوديها، وقد قال بن عباس من قبل: ليس لك من صلاتك الا ما عقلت منها.

عوامل استشعار لذة العبادة

كثير منا لم يشعر بحلاوة الذكر والايمان. ولم يشعر بتلك اللذة التي كثيرا ما نسمع

عنها عند مناجاة الرب واداء العبادات المختلفة، فكثير منا لا يشعر بالراحة والسكون والطمانينة التي يفترض ان نجنيها بعد صلاتنا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم عن الصلاة "ارحنا بها يا بلال."

فما السبب في ذلك!!
لكي نتمكن من الشعور بلذة العبادة علينا ان نوفر اربعة عوامل هامة

**ان يدرك العقل والقلب اهمية العبادة: كلما زاد ادراكنا لاهمية هذه العبادة كلما زاد سعينا وحرصنا عليها، واشتدت حركتنا نحوها. فالانسان يتحرك نحو اي امر وفقا لما يدركه من اهمية ذلك الامر وخطورته ودوره في حياته وفي الوصول الى اهدافه.

والادراك مرحلتان: الاولى العقل, والثانية القلب. فلا يكفي ان يصدق العقل باهمية هذه العبادة اذا لم يومن بها القلب واحبها وسعى لنيلها.

**تخصيص الوقت الكافي لاداء العبادة: علينا ان ندرك ان راحة المومن ليس بالانتهاء من العبادة بل في العبادة وبالعبادة نفسها قال تعالى:"الا بذكر الله تطمئن القلوب". لذا علينا عدم الانشغال او

التفكير بامور اخرى اثناء العبادة حتى لا تاخذ قسطا من تفكيرنا واهتمامنا .

من يقرا القران الكريم وهمه انهاء السورة لن يستطيع ان يحلق في اجواء القران.

من يبدا الدعاء وهو يفكر في الوقت الذي سينتهي منه لن يتمكن ان يستشعر معاني او روح الدعاء.

من يصلي وهو يريد الانتهاء من الصلاة لن يتمكن من الخشوع او يحصل على الفوائد الدنيوية والاخروية التي يكتسبها المسلم من الصلاة، ولن يحصل على الراحة التي تتبعها.

لذا علينا ان نخصص وقتا كافيا للعبادة, بحيث نجمع فيه قوانا العقلية والجسدية وجميع الحواس في العبادة.

**الاستعداد والتهيو للعبادة قبل وقتها: عندما نريد ان ندخل امتحانا ما او مقابلة شخصية، فلا بد ان نتهيا ونستعد لذلك الامتحان نفسيا وذهنيا وجسديا لنتمكن من اجتيازه. وكذلك العبادة بحاجة الى استعداد وتهيو لها.

فمن يبدا صلاته وجوارحه وقلبه مشغول بالدنيا لن يتمكن من التفاعل معها واداءها كما ينبغي !!

ولكننا متى ما اعددنا العدة لها وفرغنا انفسنا تماما وتهيانا لاستقبالها واداءها قبل دخول وقتها، سنتمكن من التفاعل معها بمشاعرنا وارواحنا واداءها كما ينبغي .

وقد جعل الله ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان حتى نتهيا لها ونستعد خلال الليالي السابقة لها من رمضان، فنتمكن من بلوغها وتاديتها واستقبالها كما ينبغي.

**ترك الذنوب :

ترك الذنوب من اهم الشروط لتذوق لذة وحلاوة العبادة . فالعبادة شراب صافي لذيذ, اذا خلطناه بشراب الذنوب العفن، سيتكعر ولن نستطيع ان نتلذذ بطعم العبادة .

فالحق والباطل لا يجتمعان في وعاء واحد, والنور والظلمة لا تجتمعان.

***كيفية الاستفادة من مناسك الحج والعمرة

للحج معاني كثيرة واسرارا عظيمة منها ما نعرفه ومنها ما لا نعرفه، ولكي نستفيد من هذه الشعيرة، ونودي مناسكها بحذافيرها كما

امرنا الله، علينا استشعار هذه المعاني والاسرار، فنستشعر بركات وفضل ذلك المكان والزمان .

والتعيس من ادى هذه الفريضة دون ان يستشعر مناسكها ومعانيها ودون ان يتغير فعاد كما ذهب، فكان كالصائم الذي ادى فريضة الصيام ولم ينله من صيامه الا الجوع والعطش. او كالذي صلى فلم ينل من صلاته الا الثلث او الربع او لم ينل شيئا .

فلابد للمسلم الذي يقوم باداء هذه الشعيرة، ان يستشعر المعاني العظيمة التي تكمن وراءها، ففي كل ركن من اركان الحج معنى وسر وحكمة .

علينا ان نستحضر ان رحلة الحج او العمرة ليست رحلة ابدان فقط، نودي فيها مناسك معينة ثم نعود !!

ولكنها في المقام الاول رحلة ارواح وقلوب. فهي رحلة ربانية هدفها ان يتزود القلب منها بالايمان والتقوى، ويحصل فيها على النور والبركة والمغفرة، وان السبيل الى ذلك هو ان لا ننشغل او نشغل قلوبنا الا بالله .

علينا ان نفرق بين الاهداف والوسائل، فنتذكر ان مناسك الحج والعمرة ما هي الا وسائل نستخدمها لنحقق هدفنا الذي من اجله شددنا الرحال الى الله، وان هدفنا الاساسي هو تحقيق التقوى والهدى والمغفرة والرضوان من الله تعالى.

لو تاملنا سورة الحج لوجدناها قد بدات بهذه الاية)يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد (
وكان الله سبحانه وتعالى يريد ان يذكرنا بان يوم القيامة قد اقترب وان علينا ان نطبق شرائع ديننا الحنيف على الوجه الصحيح ونتقي الله في جميع اقوالنا واعمالنا وضمائرنا.

فعندما نعقد نية الحج او العمرة علينا ان تستشعر اننا سنذهب الى رحلة عظيمة، واننا سنشد الرحال الى ملك الملوك، فالحج رحلة الى الله، وعلينا ان نخوض هذه الرحلة ونحن نتسلح بالعقل والبصيرة، ونتزود بالتقوى .

علينا ان نضع نصب اعيننا ان الله قد دعانا الى بيته، ويسر لنا امر الحج، واذن لنا

بزيارته وهو ملك الملوك، وان هناك فئة كبيرة لم ياذن لهم بعد، رغم تلهفهم لزيارته !!

وهذا بحد ذاته نعمة عظيمة نحسد عليها يجب ان نستشعرها ونقابلها بالشكر والحمد له سبحانه.

ونحن في طريقنا لاداء المناسك علينا ان نستحضر ان كل خطوة نخطوها، ما هي الا رمزا لخطوات حياتنا صوب الطريق الى الاخرة.
وانا نسلك درب النجاة لنصل الى الجنة.
لذلك علينا ان نغتنم كل خطوة في هذه الرحلة لمضاعفة الاجر وبذلك تتضاعف خطانا فنتمكن من الوصول الى الجنة بسرعة.

علينا ان نتذكر ان رحلة الحج والعمرة ما هي الا مثل حي شبيه برحلة الموت والرحلة الى الدار الاخرة. فما اشبه الحاج الذي يخرج من بيته وقد اغتسل ولبس ملابس الاحرام وخرج من مشاغل الدنيا ليخلص لله بقلبه وعقله، وترك الاهل والمال والولد خلفه في سبيل ذلك، ما اشبهه بمن يخرج من الدنيا للقاء ربه.

فالاغتسال يقابله التغسيل .

وملابس الاحرام تقابل ملابس التكفين .
والخروج من مشاغل الدنيا وتوديع الاهل وترك المال والولد، يقابله الخروج الجسدي من الدنيا وترك المال والاهل والولد .

علينا ان نتذكر اننا الان مقبلون على الاخرة، ولنستشعر دنو اجلنا وخروجنا من الدنيا! لذا علينا ان نستعد ونوفي ما علينا من حقوق وديون لاصحابها استعداد للرحيل من هذه الدنيا.

فنرد المظالم الى اهلها، ونقضي ديوننا ونطلب الصفح ممن اساءنا اليهم، ونتوب الى الله، وبهذا نبدا رحلتنا بدءا طيبا كريما .

وعندما نصل الى الميقات علينا ان نستحضر في اذهاننا صورة اقدامنا على الله ومثولنا بين يديه، وندرك اننا قد وصلنا الى مفترق الطريق بين الدنيا والاخرة، وانه قد حان ميقات انتقالنا الى الحياة الاخرى.

وحتى يتعمق هذا الشعور في انفسنا، علينا ان نتذكر يوم وفاتنا، عندما نلبس ملابس الاحرام التي تشبه الكفن تماما، او الملابس المتجردة التي لا زينة فيها.

فماذا سنفعل انذاك!!!

عندها سندرك ان هذه الدنيا فانية، وسنزداد خضوعا لله وخشوعا بين يديه وزهدا في زخارف هذه الحياة الزائلة وزينتها الفانية. وسندرك ان حياتنا ليست هنا بل هي الحياة الاخروية الدائمة .

فنعقد صدق العزم والنية والاخلاص لله تعالى بعدم الانشغال بها، وبذل كل ما يمكننا من جهد لنصل اليه سبحانه ونلقاه بالشكل الذي يرتضيه، ليكافئنا بالمنزلة العالية في الجنة باذن الله .

وعندما نتوضا او نغتسل، علينا ان نستشعر ونستحضر نية تطهرنا من ذنوبنا جميعها، سواء الحسية والمعنوية. وعلينا ان نتوب توبة نصوح من جميع المعاصي، ونعقد العزم الا نعود اليها مرة اخرى.

وعلينا ان نستحضر ونحن نحرم من الميقات ان الله عز وجل قد وضع لنا حدودا، وشرع لنا شرائع، وامرنا بالتزامها وعدم تجاوزها، وان وقوفنا في الميقات للاحرام ,هو توثيق وعهد منا لله تعالى باننا سنلتزم بما شرعه لنا وسنبتعد منذ هذه اللحظة عما حرمه علينا ليس في رحلتنا هذه فقط بل ما حيينا باذن الله.

فاذا لبسنا ملابس الاحرام علينا ان نتذكر ابليس وكبره وغروره، وكيف اودى به الى جهنم وبئس المصير. ونستشعر حينها اننا قد خلعنا اللباس الذي يحتمه علينا المنصب والجاه، والتي قد يودي بنا الى الكبر والغرور، واننا نلبس ملابس التواضع والتقوى .

وياتي النطق بصيغة التلبية ليكون تعبيرا منا عن الاستعداد النفسي لتلبية كل نداء الهي يوجه الينا، ويتطلب منا بذل او ترك اي قول او عمل يامرنا به ربنا ويكلفنا به سبحانه، سواء كنا في ايام الحج او في غيرها.

ونحن نلبي علينا ان نستحضر معني التلبية, فعندما نقول لبيك اللهم لبيك: فنحن نقصد ان اتجاهنا وقصدنا اليك وحدك يا رب, وان محبتنا وخضوعنا واخلاصنا لك وحدك يا الله .

علينا ان نتذكر اننا عندما نلبي نداء الله، ونقول "لبيك اللهم لبيك, لبيك لا شريك لك لبيك " فاننا نعده سبحانه باننا سنلبي نداءه اينما كنا، واننا منذ هذه اللحظة وحتى بعد ان نعود من رحلتنا ، سنسرع لكل

طاعة تقربنا اليه وسنبتعد عن اي معصية تثير سخطه وتوجب عقوبته .

ونحن نلبي علينا ان نستشعر تلبية الشجر والحجر من حولنا ونتذكر قول نبينا صلى الله عليه وسلم (ما من مسلم يلبي الا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر او شجر او مدر حتى تنقطع الارض من هاهنا وهاهنا .(

ونحن نلبي علينا ان نستشعر اننا نلبي دعوة الله لنا عندما دعانا سيدنا ابراهيم لزيارة بيت الله، قبل ان نولد عندما امره الله بان يوذن بالحج ووعده سبحانه ان عليه البلاغ.
ونستشعر عظمة الله وقدرته في كيفية وصولها لنا.

وعلينا ان نرددها في ومن اعماقنا، وكلنا يقين ان وفودنا الى بيت الله، كان باستدعاء منه سبحانه، وهذا كرم منه وفضل يستحق منا الشكر والعرفان. فتخرج "لبيك اللهم لبيك" من اعماق قلوبنا وهي تحمل كل معاني الشكر والحمد والثناء لله رب العالمين
كيف نستشعر مناسك الحج والعمرة (2(
د. سلوى البهكلي | 1430/12/7 هـ

ضيوف الرحمن

يعتبر الحاج إلى بيت الله الحرام ضيفاً حلّ في ضيافة الله سبحانه وتعالى، فما الذي نتوقعه من المضيف وهو الإله الكريم والرب العظيم وهو أكرم الأكرمين؟؟

علينا أن نتذكر أننا منذ عقدنا النية على الذهاب إلى مكة، فنحن سنكون في ضيافته سبحانه، وكما للضيف حقوق فعليه واجبات، لذا علينا أن نتذكر أن كل من جاء للحج هو أيضا قد حل ضيفا على الله، وهذا يلزمنا التأدب معه، ومعاملة ضيوفه الآخرين بكل رفق ولين وتسامح، فإهانتهم تعدٍ عليه سبحانه وعدم توقير له، لأنهم ضيوفه، ومن حق الضيوف أن لا يهانوا في بيت مضيفهم مهما كانوا.

ولنتذكر قوله صلى الله عليه وسلم : " الحجاج والعمار وفد الله عز وجل وزواره إن سألوه أعطاهم وإن استغفروه غفر لهم وإن دعوا استجيب لهم وإن شفعوا شفعوا "

عند الدخول من باب الحرم علينا أن نستشعر أننا داخلون بيت الله لذا علينا أن ندخل بأدب، ونقدم رجلنا اليمنى ثم ندعوه سبحانه كما علمنا رسولنا الكريم، استئذانا منه سبحانه وتعالى.

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، اللهم افتح لي أبواب رحمتك.

علينا إذا دخلنا المسجد الحرام أن نتذكر أننا مذنبون وأننا الآن سنقف أمام مليكنا الذي سيصدر علينا حكمه إما بتوفيقنا في رحلتنا هذه ليعفو عنا ونعود كيوم ولدتنا امهاتنا ويحررنا الى الأبد من سجن الذنوب والمعاصي، وإما بسخطه علينا وحكمه بسجننا مرة أخرى في ذلك السجن المظلم فنعود كما كنا ونغرق في المعاصي ثم نلقاه وهو غاضب علينا.

ولنتذكر ان حكمه سيكون طبقا لنوايانا، فعلينا أن نعلن له توبتنا وأوبتنا، ونخضع ونتذلل بين يديه، ونسكب دموع الندم الصادقة، ونطلب منه الصفح والمغفرة عما سلف ومضى، والثبات والتوفيق فيما بقى لنا من عمر، ونكرر ونكرر ونلح في طلبنا.

وعندما نرى الكعبة علينا ان نتذكر انها أول بيت وُضع للعالم في هذه الأرض، وقد بناها أدم عليه السلام أول مرة، ولكنها هدمت بطوفان نوح عليه السلام، ولكن الله ابى الا ان تدوم وتبقى ويعاد بناءها لنأتي الان ونراها .

وان نتذكر أن الكعبة وسط المعمورة وفوقها البيت المعمور الى السماء السابعة، وهو

كعبة الملائكة، كل يوم يدخله سبعون ألف ملك يصلون فيه ثم يخرجون منه ولا يعودون أبدًا.

وعندما نرى الكعبة علينا أن نستشعر الرحمة التي يغمرنا الله بها ونتذكر ان النظر والتأمل في بيت الله عبادة . ...مجرد النظر إلى الكعبة .. يا سبحان الله !!!!

عندما جاء أحد كبار رجال التعليم السويسريين إلى مؤتمر للتعليم في مكة المكرمة، كان يجلس هو وزوجته أمام الكعبة ينظر إليها معظم الوقت أو يطوف أو يصلي حولها. من بعد صلاة العشاء إلى الفجر. وعندما سئل عن سبب ذلك، قال أن النظر إلى الكعبة عبادة، وهو لا يدري إن كانت ستكتب له زيارة مكة مرة أخرى أم لا ! لذا لا يريد أن يفرِّط في أي ثانية لديه.

وعندما نصل إلى الكعبة ونبدأ الطواف علينا أن نستشعر أننا نقف تحت عرش الرحمن. ففوق كعبتنا الشريفة كعبة الملائكة في الملأ الأعلى واسمها "البيت المعمور"، وهي تحت عرش الرحمن.

وهذا بحد ذاته يلزمنا أن نحترم قدسية المكان، لأننا واقفون أمام الله في بيته وتحت عرشه، ولهذا فإن هذا المكان له من القدسية الشيء العظيم، مما تقشعر منه الأبدان، وله من الأنوار والبركات ما يجلي من قلوبنا المعاصي، ويجعلنا نسرع لنتطهر من الذنوب.

علينا أن نتنبه ونحن نطوف أن الملائكة تطوف فوقنا !! ونتخيلهم وهم يطوفون فوقنا حول البيت المعمور في السماء السابعة، حول نفس المنطقة, وبنفس الحركة التي نتحرك بها وبنفس الاتجاه!!

ولنتخيل حالة خشوعهم وذلهم وخضوعهم لله تعالى أثناء طوافهم!! وليكونوا قدوة لنا فنتشبه بهم، لنكون كالملائكة، فقد قال صلى الله عليه وسلم عنهم: (من تشبّه بقوم فهو منهم أو هو معهم)

لنتذكر أن الله سبحانه وتعالى فضلنا عليهم إذ سمح لنا بأن نتردد على بيته متى شئنا!! بعد اذنه سبحانه. وانه لا يسمح للملائكة أن يطوفوا بيته إلا مرة واحدة في حياتهم

علينا أن نتذكر أن الطواف حول الكعبة ما هو الا صلاة يلزمها الخشوع وحضور القلب.

ولنستشعر أن الله يطلع علينا وعلى قلوبنا ونحن نطوف حول بيته، لذا علينا أن نخلص له في حبه، ونفرغ قلوبنا من كل شيء عدا الله وحب الله.

فإذا فعلنا ذلك بحق ستسمو أرواحنا وسنشعر انها تسبق خطواتنا وكأنها هي التي تطوف حول البيت وليست أقدامنا.

لنتذكر أننا لسنا وحدنا من يطوف، فجميع من في هذا الكون يطوف، سواء كان في اصغر حالاته كالإلكترون حول نواة الذرة، أو كالكواكب حول الشمس، أو غيرها . وهكذا

يتعدد الطائفون ولكن الجميع يطوف حول من هو أكبر منه.
وعندما نرى صغر حجمنا وضآلتنا مقارنة بالكعبة التي نطوف حولها لكونها شيء عظيم، وعندما نتنبه أن كل صغير يطوف حول ما هو اكبر وأعظم منه،هنا يجب أن نتنبه أن تكون محاور حياتنا تدور حول الأمور العظيمة وأن لا يكون دورانا أو طوافنا حول الأمور التافهة أو الرخيصة .
وعلينا أن نتذكر ونحن نطوف، ان منطقة الطواف حول الكعبة لها حدود معينة إذا تجاوزناها لا يصح طوافنا. فلا يمكننا أن نطوف مثلا في المسعى!!

عندها علينا أن ندرك أن من حكم الطواف هو أن نتذكر أن علينا أن نستمر دوما في التحرّك والدوران حول مركز واحد وهو إرادة الله تعالى ومطاف شريعته مهما تعددت محاورنا.
ولنستشعر أثناء طوافنا كيف سيكون حالنا ونحن نتردد بين يدي الله سبحانه يوم القيامة، أثناء الحساب والجزاء، وكيف سنتمنى انذاك أن نعود للحياة الدنيا لنحسن اعمالنا ونكتسب ما نستطيع من أجر لننجو من عذاب الله ونفوز بأعلى الدرجات في الجنة.
وهذا يحتم علينا نراجع حساباتنا مرة أخرى، وان نعاهد ربنا أن يكون محور دورانا وتحركاتنا منذ هذه اللحظة حول مركز

الشريعة الإسلامية، فلا نتجاوز حدود محاورها كما كنا نفعل ونحن نطوف.

علينا ونحن نستلم الحجر الأسود ونقبله أو نشير إليه أن نتخيل اننا نمد ايدينا لنجدد عهدنا وبيعتنا معه سبحانه!! فنعاهد الله على التوبة والرجوع إليه والى شرعه الذي يحبه ويرتضيه لنا. ولنتحرى الصدق مع الله ونحرص عليه.

وعندما نصلي خلف مقام إبراهيم علينا أن نتذكر أبانا وسيدنا إبراهيم عليه السلام، وحرصه وخوفه علينا وعلى هدايتنا، وكيف دعا الله لنا واستجاب الله دعواته بأن بعث فينا محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين.

وعندما نشرب ماء زمزم، فلنتذكر أنه ليس كغيره من مياه الدنيا, ولنستشعر المعاناة والألم النفسي والعطش التي عانت منهم هاجر أم إسماعيل قبل أن ينعم الله عليها بظهوره.

وهذا يذكرنا أن بعد الشدة يأتي الفرج، وأن مفتاح الفرج هو تقوى الله، تصديقا لقوله سبحانه "ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب". فنروض أنفسنا على تحمل المشاق والتعب في سبيل الله.

وعندما نقف على جبل الصفا، علينا أن نتذكر ما لاقاه النبي وأصحابه عندما جهروا بالدعوة، وحرصوا على توصيلها إلينا نقية خالصة. ولنتذكر غضب الله وتوعده لكل من كاد

لدعوة الإسلام أو عادى المسلمين بقول أو بفعل !! فنحذر من ذلك.

عندما نبدأ في السعي ، علينا أن نتذكر ونستشعر انه علينا أن يكون سعينا كله في هذه الدنيا في سبيل الله وفي طاعته. وأن أول خطوة فيه تبدأ من الصفا فعلينا أن نتسلح بصفاء النية وسلامة القصد.

ولنتذكر أن ثواب الحج لا يكون على قدر المشقة فقط، بل بقدر الإخلاص. وأننا عندما ننتهي عند المروة، فإننا بإذن الله نكون قد بلغنا غايتنا المقصودة وأصبحت أنفسنا كالجوهرة البيضاء.

ولنتذكر أثناء سعينا بين الصفا والمروة، أن السعي عبادة وليس مجرد أن نسير وننهي هذه الأشواط ! وكلما اجتهدنا في السعي وشعرنا بالتعب أو مشقة السير، علينا أن نتذكر" إن بعد كل عسر يسرا " وان ذلك من سنن الله في هذا الكون.

عندها نعود لنتذكر السيدة هاجر وهي تسعى بين الصفا والمروة بحثاً عن الماء لوليدها الذي أشرف على الهلاك. وان الله قد أتاها بعد العسر بالفرج العظيم. فنتعلم من ذلك درسا هاما وهو ان علينا أن نتحمل نحن أيضا ما يواجهنا من مشقة وابتلاء ومصائب ونتأكد ان الفرج قريب, ولنجعل صبرنا تعبداً وتقرباً إلى الله.

حينما نرى جموع الحجيج، ونحن في مكة أو في منى علينا أن نفرح ونبتهج بمشهدهم, وندعو الله أن يوحد صفوفهم ليكونوا حقاً كالجسد الواحد وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.
علينا أن نغتنم يوم التروية يوم مبيتنا في منى في كل لحظة، لنروي جفاف صفحاتنا من الأعمال الصالحة، فنجعل كل خطوة نخطوها لنضاعف بها أجور أعمالنا, وليكن ذلك بالمحافظة على الصلوات في أوقاتها وبالمداومة على الذكر, وقراءة القران، والسعي على راحة الحجيج والتعاون معهم والتصدق عليهم، والحرص على مصاحبة الأخيار والصالحين وحضور حلقات العلم.
وعندما نشد الرحال إلى عرفات، ونرى الحجيج يأتون فوجًا بعد فوج، وكلهم على هيئة واحدة وبلباس واحد، لا فرق بين غنيهم وفقيرهم، وليس على ألسنتهم إلا جملة واحدة "لبيك اللهم لبيك، لبيك اللهم لبيك" ، علينا ان نستشعر ونتذكر قوله تعالى: "ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون"
فاجتماع عرفات هو نموذج تذكاري مبسط ومقدم لاجتماع يوم الحشر!! ولأهميته جعله الله ركنا أساسيا للحج .. بل الحج كله "الحج عرفة".
فهو يذكرنا في هذه الدنيا بصورة حية مصغرة من صورة الآخرة. ويذكرنا بميدان الحشر

ومثولنا أمام الله. عندها علينا أن نعد العدة ونراجع الحسابات لندرك ما هو سيكون مصيرنا عندما يأتي ذلك اليوم فعلا!!
فعلينا أن نستشعر ونتذكر في هذا الموقف المشهود في صعيد عرفة.. خاصة عندما نقف جميعا ندعو الله ونبتهل إليه ونحن واقفون تحت الشمس وهي دانية منا، نتذكر يوم القيامة، يوم يجمعنا الله مع الأولين والآخرين في صعيد واحد فنقف خمسين ألف سنة، والعرق يلجمنا على قدر أعمالنا، ونحن ننتظر رحمة الله ونرجوه أن يبدأ في حسابنا.
وحينما نتذكر غيرنا من غير الحجاج الذين ضيعوا هذا اليوم فلم يستغلوه بالذكر والصيام والعمل الصالح، وضيعوه بما لا يفيدهم من الأقوال أو الأعمال، علينا أن نستحضر قوله تعالى: فريقٌ في الجنة، وفريقٌ في السعير!
فنعمل جاهدين أن نكون من فريق الجنة.
لنكون من المقبولون الذين قد غفرت لهم ذنوبهم، والذين سيستمرون كذلك حتى بعد عودتهم الى اوطانهم. ولا نكون ممن عاد إلى وطنه وليس له من حجته إلا أجر التعب والنصب وعاد كما كان!! فيا لها من حسرة عظيمة
عندها يجب أن نقف وقفة صادقة مع أنفسنا ونعرف نقاط ضعفها وقوتها، لنعرف حقيقتها وحقيقة ضعفها وحاجتها وافتقارها إلى مالك

الملك ورب السماوات والأرض، ونعترف بقصورها، ونحاسبها على تقصيرها، فنندم ونتوب توبة صادقة ،ثم نجتهد في تقويمها والدعاء لها بالصلاح والإصلاح ليعم الخير علينا وعلى عباد الله جميعا.

وعلينا أن نستشعر أهمية ذلك اليوم وانه اليوم الذي سيحدد مصيرنا إما إلى جنة الخلد والنعيم وإما إلى بئس القرار ونار الجحيم.!! ونتذكر انه اليوم الذي يمكننا فيه أن ننال جنات الخلود إذا اتقنا العمل وأخلصنا النية لله وعزمنا على إكمال المسيرة بالتوبة والعمل الصالح.

فيكون ذلك حافزا لنا في الاجتهاد فنستغل كل دقيقة من دقائق وقوفنا ووجودنا في عرفات في الدعاء والذكر والاستغفار والتقرب إلى الله تعالى، وعدم تضييع اوقاتنا في القيل والقال.

ولنستحضر أن الله يباهي بنا الملائكة في ذلك اليوم، والله لا يباهي إلا بمن يستحق هذه المباهاه، فلنكن أهلا لهذه للمباهاة.

ولنتذكر قوله صلى الله عليه وسلم " ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفه وأنه ليدنو عز وجل ثم يباهى بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء ؟ " .

وعند الإفاضة من عرفات علينا أن نودع هذا اليوم المبارك, وهذا الموقف العظيم , ونستشعر مغفرة الله وعتقه لنا من النار،

فنزداد شكرا له على هذه النعمة، وذكرا له عند المشعر الحرام -أي في مزدلفة - كما أمرنا في قوله سبحانه " فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين"

وعندما يبدأ الزحف من عرفات باتجاه المشعر الحرام، علينا أن نستشعر أننا وبعد أن تعارف بعضنا على بعض في عرفات ووقفنا في صعيد واحد لنعاهد الله على رفع كلمة الحق وتطبيق شرعه سبحانه، سنبدأ هذه الحرب مع أنفسنا أولا لنقاوم شياطين الهوى الذين يتلبسون لنا بكل شكل ويتسلحون بكل حيلة ليضلونا عن سبيل الحق.

علينا أن نستشعر أننا نتحرك نحو المشعر الحرام لنستعد لخوض معركة ضد الشيطان بعد أن أصبحنا نمثل جبهة واحدة وصفاً واحداً قوياً قادراً على التصدي لعدو الله وعدونا.

أما فجر مزدلفة فيذكرنا عندما نرى الحجيج وهم يستيقظون من نومهم وهم شعثا غبرا لينطلقون إلى مِنَى بيوم البعث وكأن الناس يبعثون من القبور

ومن مظاهر الأهبة والاستعداد للحرب جمع الحصى من المشعر الحرام ليلة المبيت فيه، ليكون رمزاً وتمريناً لنا على جمع السلاح المادي المعهود وإعداده للوقت المناسب عملاً بقوله تعالى: "واعدّوا لهم ما استطعتم من

قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم".

عندما نختار الحصى ونتأكد من مطابقته للحصى المطلوبة للرمي، علينا أن نتذكر "أن الله طيب لا يقبل إلا الطيب" وانه علينا أن نتخير أعمالنا ونجعلها طاهرة نقية خالصة لوجه الله، حتى عندما نقاوم عدونا وعدو الله إبليس.

عندما نتجه إلى منى لرمي الجمرات علينا أن نتذكر إبليس وكيف كان يريد غواية سيدنا إبراهيم ويثنيه عن طاعة الله، وكيف صده إبراهيم ورجمه بالحصى. وأنه مازال حتى الآن يمارس نشاطه علينا ويسوس لنا، ويتلبس في جميع الصور، ليحقق هدفه ويقذف بنا إلى النار.

وعندما نصل إلى منى لرمي جمرة العقبة، بالسلاح الذي جمعناه، علينا أن نستشعر ونتذكر أن هذه الجمرة هي العقبة الكبرى بيننا وبين دخول الجنة، وما هي إلا الشيطان الأكبر والنفس الإمارة بالسوء، فنعقد العزم على دحرها وأن لا نطيعها بمعصية الله.

وعلينا أن نتصور مع كل حصاة نرميه بها، أننا في حالة حرب مع الشيطان الذي يريد إيقاعنا في المعاصي، وأنه عدو لنا يجب أن نحذر منه ومن وساوسه، وأن علينا مقاومته. ولنستحضر مع كل جمرة نرميها خطورة الشيطان وقوة نزغاته ووسوسته وقدرته على ضلالنا إن

لم نتسلح بالدين الحق، فنكبر مع كل حصاة نرميها، لنتذكر ونذكر من حولنا أن الله هو أكبر من كل شيء، ونتخيل أننا نقاوم إبليس وجنوده ونذكرهم أن الله اكبر منهم مهما فعلوا، ونذكر أنفسنا بذلك، ونستعين بالله في حربهم.

وعندما نبدأ في اليوم التالي برمي الجمرة الصغرى ثم الوسطى ثم الجمرة الكبرى، علينا أن نستحضر أن الشيطان لا يعمل لوحده، وأن هؤلاء جنده، ولكي نصل إلى قائدهم الأكبر إبليس، يجب أن نقاوم ونتخلص من جنده ورعيته.

لنستحضر ونحن نرمي الجمرات أن هذا الرمي هو تجديد لبيعتنا مع الله، وإعلان ومعاهدة منا أمام الله وأمام خلقه الذين احتشدوا حول الجمرات على العمل الدائم والدؤوب على دحر هذا الشيطان وحزبه في كل زمان ومكان.

عندما نذبح الهدي علينا أن نستشعر نعم الله علينا ، ونتذكر أننا في هذه الدنيا نمر بامتحانات كثيرة، وأن الله مهما قسا علينا في أي امتحان إلا انه سبحانه لا يلبث أن يبعث لنا الفرج، شرط أن نصمد ونصبر ونطيع أمره.

ولا يوجد امتحان في هذه الدنيا أصعب من امتحان سيدنا إبراهيم عليه السلام، وابنه إسماعيل، عندما رأى انه يذبح أبنه وقرة عينه الذي رزقه الله إياه بعد صبر طويل، ومع

ذلك استجاب وأطاع كل منهما لأمر الله، وهما بتنفيذ الأمر. وهذا يدل على أن الإيمان في قلبيهما غلب كل شيء، وهكذا يجب أن نكون. لنستشعر عند الذبح وتوزيع لحوم الأضاحي، وكأن الله سبحانه وتعالى يرحب بنا ويجعلنا نحتفل بنجاحنا في الامتحان الصعب، وكأنها رمز لقبولنا لديه وقبول توبتنا واستجابة دعواتنا، واحتفال معنا بعيدنا الأكبر.

وعلينا أن نستشعر أيضا رحمة الله العظيمة بالفقراء والمساكين، وأنه سبحانه يذكرنا بوجوب رحمتهم ووجوب إطعامهم من لحم الذبيحة، فيكون ذلك وسيلة من وسائل تفقدهم بالبر والصلة ومد يد الإحسان إليهم.

وعند الحلق أو التقصير علينا ان نستشعر أن ذنوبنا تسقط مع كل شعرة نحلقها، واننا مع اخر شعرة سقطت تخلصنا من درن الذنوب والخطايا . ولنتذكر ان الوليد الذي يأتي في هذه الدنيا يولد قليل الشعر أو بدون شعر فنتذكر ونحن نرى بعضنا البعض اننا رجعنا بحمد الله كيوم ولدتنا امهاتنا كما وعدنا ربنا.

وعلينا أن نتنبه ونحن نؤدي مناسك الحج، أننا سنجد في كل بقعة أمامنا الغني والفقير، الكبير والصغير، القوي والضعيف، الأبيض والأسود، نراهم سواسية متجردون لله تعالى، لا فروق بينهم، سواء كانت سياسية، أو عرقية، أو لغوية، أو لونية.

عندها سندرك معنى الأخوة الحقيقية بين البشر، وقيمة الوحدة والتآلف والتقوى والرحمة والتراحم، ونتذكر أننا جميعا أبناء ادم وحواء. وان الله جمعنا هنا ليذكرنا بإخوتنا وأننا جميعا سواسية لا فرق بيننا. فجميعنا عبيده وقد أتينا هنا نطلب رحمته ومغفرته، وننتظر قبولنا لديه. وأنه الحق سبحانه سيفاضل ويختار من بيننا من يراه أهلا لقربه وفضله وجنته. وان ميزان التفاضل عند الله هو التقوى " إن أكرمكم عند الله أتقاكم"

وعند طواف الوداع علينا أن نستحضر الشعور بلوعة الفراق، فراق أشرف بقاع الأرض، التي استمتعنا فيها بقربنا من ربنا ومولانا وخالقنا.

ولنجتهد أن تكون هي أحب الأماكن وأقربها إلى قلوبنا، وندعو الله من أعماقنا وكلنا رجاء بأن لا تكون هذه الزيارة هي آخر عهدنا بالبيت.

كيف نستشعر مناسك الحج والعمرة ؟ (3)

د. سلوى البهكلي | 1430/12/15 هـ

رحلة الحج هي رحلة من الخشوع والتأمل .. رحلة لإعادة برمجة النفس البشرية لتطابق الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها.. رحلة لتفريغ ما تراكم داخل الإنسان من شحنات سلبية بسبب الضغوط والانفعالات التي مر بها خلال سنوات عمره الطويلة.

وقد اكتشف الباحثون فعلا أن هذه الرحلة فيها إعادة برمجة للنفس البشرية، ولاحظوا أنها تزيد من طاقة الإنسان الايجابية، لما تحمله من منافع كثيرة لم يكشفها العلم إلا حديثاً.

حيث يؤكد علماء النفس أن الذي يضعف الإنسان وينهكه هو كثرة الضغوط والمشاكل التي يتعرض لها أثناء حياته.

كما أكدوا أن الطريقة المثلى لإعادة التوازن للجسم، هو أن تفرّغ هذه "الشحنات السلبية" المتراكمة بفعل الأحداث التي يمر بها. وعملية التفريغ هذه ضرورية ليتمكن الإنسان من استثمار طاقاته بالشكل الصحيح والاستمتاع بحياته

وهذا ما تقوم به رحلة الحج، حيث تعيد هذه الرحلة تهيئة وفرمتة جسم الإنسان من جديد، فتفرغ منه الشحنات السلبية الضارة وتعيد شحنه بالشحنات الإيجابية النافعة، كما يحدث تماما عندما يعاد فرمتة أي جهاز كمبيوتر ممتلئ بالفيروسات أو توقفت برامجه عن العمل بشكل جيد.

ولكي قطف ثمار هذه الرحلة.. لا بد لنا أن نستشعر عظمة هذهِ العِبادة **!**

ولا بُدَّ من اسْتِحْضَار العقل والقلب فيها

ومن ثمار الحج:

- استشعار القلوب بوحدانية الله
- تعويد للنفس على الطاعة والامتثال لأمر الله .
- تزويد القلوب بالإيمان والتقوى .
- اختبار لقوة الإيمان .
- تطهير النفس البشرية فى مظاهر الكبرياء والعظمة .

- تعويدالنفس على الجهاد .
- توثيق العلاقة والصلة بالله
- تخليص الإنسان من الذنوب والفقر.

استشعار القلوب بوحدانية الله

يستشعر الحاج بواحد نية الله سبحانه وتعالى، عندما يرى الجميع من حوله مسلمون يطوفون ببيت واحد، ويعبدون إلهاً واحداً، ويتبعون رسولاً واحداً، وينتهجون منهجاً واحداً، وكل هذا تجسيد حقيقي لمدلول : " لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلاّ الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ".

وهذا الشعور يعزز في نفوسنا أهمية الوحدة والعمل في ظل جماعة واحدة حتى نتمكن من الانتصار على أعداء الإسلام، لنكون بحق خير أمة أخرجت للناس، تصديقاً لقوله تعالى:

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا)

تعويد للنفس على الطاعة والامتثال لأمر الله

يؤدي الحاج المناسك دون نقاش أو جدال ولو لم يفقه من أسرارها شيء، فهو يؤديها طاعة وامتثالاً واستسلاماً لأمر الله سبحانه وتعالى، ويبذل في سبيل ذلك المال والوقت والجهد، وفى هذا تعويد للنفس البشرية على الالتقاء على طاعة الله والاتحاد على دعوته.

تزويد القلوب بالإيمان والتقوى

من أهم مقاصد أداء مناسك الحج " استشعار التقوى والتزود منها " ، فالتقوى زاد القلوب والأرواح وهو خير الزاد، فمنه تقتات وبها ترى وتشرق، وعليها تستند في الوصول الى درب الحق والنجاة . ورحلة الحج خير من يزود العقل والروح والقلب بهذا الزادالعظيم.

اختبار لقوة الإيمان

يترك الناس في الحج رغباتهم وشهواتهم لإرضاء ربهم .. وفى ذلك اختبار على قوة إيمانهم وصدق عقيدتهم وإخلاصهم في حب الله ورسوله ، وهذا يجسد قوله تعالى"وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُباً لِّلَّهِ "

تطهير النفس البشرية فى مظاهر الكبرياء والعظمة

يقف الحاج أمام ربه وأمام جميع الخلق متجرداً من كل مظاهر الدنيا الفانية وهو طيب النفس والخاطر، ويتذكر ضعفه وذله لله يوم يلقاه، وهذا يطهر النفس البشرية من الكبرياء والعظمة والغرور، ويعودها على التواضع، فالكبر والغرور هما من أوديا بإبليس إلى جهنم وبئس القرار.

تعويد النفس على الجهاد

يعلمنا الحج معنى الجهاد، ويمكننا من استخدام الطاقة الكامنة الموجودة بداخلنا لتوجيه أنفسنا إلى الخير، وكبحها عن اتباع طريق الهوى وذلك عن طريق الذكر والطاعات والالتزام بالطريق المستقيم، واحتساب الأجر. وهذا نوع اخر من الجهاد وهو جهاد النفس .

توثيق العلاقة والصلة بالله

يعمل الحج المبرور على إزالة الحواجز التي بنتها الوساوس الشيطانية والمشاغل الدنيوية على القلب، فحجبت عنه نور الإيمان وأبعدته عن القرب من الرحمن. فجميع العبادات التي نمارسها يمكنها أن تطهر جزءًا مظلما من القلب، إلا الحج فإنه يطهر القلب كاملاً؛ شرط أن يتوفر فيه الإخلاص.

ففريضة الحج تعتمد على الذكر الدائم لله عند أداء النسك؛ لتطهير القلوب، وترطيب الألسنة، وبهذا يكون العبد على علاقة وارتباط دائم بالله.

تخليص الإنسان من الذنوب والفقر

الحج المبرور يفرغ ويخلص الإنسان من جميع ما يحمله من ذنوب وأخطاء، تصديقا لقوله صلى الله عليه وسلم: (تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب دون الجنة)

فالحج لا يخلص الإنسان من الذنوب فقط ولكنه يخلصه من الفقر أيضا، وذلك لأنه يعيد شحن الجسم من جديد بالطاقة الفعالة، فيصبح أكثر قابلية للعمل والسعي لكسب الرزق.

هذا بالإضافة إلى أن الذنوب تحجب الرزق والحج يخلص الإنسان من ذنوبه فيرجع نقيا طاهرا كيوم ولدته أمه، فلا يصبح لديه ما يحجب الرزق ولذلك يزيد بإذن الله.